رحلة الموت.. يمنيون يكشفون تفاصيل عملية تهريبهم من عدن إلى ليبيا وبيعهم كرهائن

الأمناء - أدهم فهد :

اختار ما لا يقل عن 100 شـــاب يمني - جُلّهم من العاصمـــة المؤقتة عدن - مســـلك التهريب للوصول إلى أوروبـــا، أملاً في توديع المعانـــاة والأزمات التي أحاطت بهم في بلادهم، والتـــي تدخل الحرب فيها عامها الثالث، وسط تدهور لافت للأوضاع المعيشية والمتوازية مع انهيار اقتصادي، انعدمت معه الرواتب، وشهد الريال خلالهً تهاوياً لم يعهده من قبل، لينتج بذلك وضعاً مأساويا.

دخـــول أوروبا عبر طُرقِ التهريـــب، لم تكن فكرةً رائجةً لدى اليمنيين عموماً، وشباب عدن خصوصاً، إلا أنهـــا ومنذ مطلـــع العام الجـــاري، باتت طريقا مفضّلة لعشرات الشـــباب، واختاروا الخوض فيه، دون أي تفكير مسبق بعواقب هذه الخطوة، وهو ما كشفه "الموقع بوست" خلال تواصله مع مجموعة من الشـــبان الذين اختاروا طريـــق التهريب، حيث تم لاحقا بيعهم كرهائن، ودخلـــوا بذلك متاهات لم يخرجوا منها إلا بشق الأنفس.

(الحسن) نموذج حي

الحســـن وليد (20 عاما) بدأ رحلـــة التهريب إلى أوروبا، مطلع مايو/أيار الماضي، فقد غادر العاصمة المؤقتة عدن آنذاك، ليصل دولة مصر ومنها إلى ليبيا، التي عاش فيها لحظات عصيبة، ليصل بعد خمســـة أشهر على بدء رحلته إلى قناعة مفادها أن التهريب هو الوجه الآخر للموت.

يقـــول الحســـن : "خرجت من عـــدن إلى مصر وبطريقة رســـمية، عبر المطار، رفقة أحد أصدقائي، بغية دخـــول أوروبا عبر التهريـــب من مصر، وذلك لتغيير وضعنا المعيشي، وإيجاد حياة أخرى مختلفة وبعيدة عن الأزمات".

ويضيف الحســـن، والذي يحمل شـــهادة ثانوية عامة مـــن إحدى ثانويات العاصمـــة المؤقتة عدن : "ومن مصر كنا نفكر بالهروب إلى أوروبا عبر طريق الإسكندرية، فقد أخبرنا عنه أصدقاؤنا الذين سبقونا ووصلوا إلى أوروبا".

وتابع : "تعرّفنا على مهرب سوداني في القاهرة، ســـبق لمعارفنا وأن تمكنوا من الهروب عبره، وطلب 2000 دولار مـــن كل شـــخص، وأعطينـــاه المبلغ المطلوب، فقال لنا: تحركوا إلى منطقة اسمها مرسى مطروح، حيث ســـتبقون هنـــاك ليومين عند مهرب آخر، ويدعى ســـعيد، وهو من سيوصلكم إلى أوروبا عبر بحر الإسكندرية".

بالنســـبة لمرسى مطروح فهـــي مدينة مصرية سياحية تتميز برمالها البيضاء التي تستقطب ملايين الســـياح، إلى جانب آلاف البشر الذين ينوون التحرك منها بحرا نحو أوروبا، وتقع إلى الشمال الشرقي من مصر، وإلى الغرب من الإسكندرية بحوالي 298 كم، وإلى الشرق من الحدود الليبية بحوالي 217 كم على الطريق الساحلي الدولي.

ويتابـــع : " فوجئنا بعد مـــرور يومين وهي المدة المتفق عليها، بالمهرّب ســـعيد ورجالـــه يقولون لنا: امشوا.. امشـــوا.. قلنا لهم إلى وين؟ ، ليجيب المهرب سعيد: إلى ليبيا ".

يقول الشاب الحســـن : "حاولنا الإفلات منه لكن دون جدوى فقد قـــام رجاله برفع الســـلاح علينا، ولم يتوانـــوا عن ضربنا بأعقاب البنـــادق، فلم نكنٍ نريد دخـــول ليبيا، فالتهريب من هنـــاك يعد خطراً، وقد أخبرنـــا أصدقاؤنا الذين مروا من ليبيا عن حجم المعاناة والعراقيل التي عاشوها هناك".

يواصل الشاب العدني رواية تفاصيل رحلته : "لم نجد خياراً آخر ســـوى المشي في الصحراء، وفوهات البنادق موجهة إلى رؤوســـنا. كانت لحظات مرعبة ولم أكن أعرف بأنها مجرد بداية لمسلسل من المواقف المرعبة ومشـــاهد الموت، التي بقيت ملازمة لنا طيلة رحلتنا".

الصحراء الليبية المصرية

يقول الحسن : "مشينا في الصحراء القاحلة والتي رأينها فيها الموت بألوانه المختلفة، فقد كانت كميات الغذاء والمياه المتواجدة معنا غير كافية، وجبة واحدة خفيفة يوميا إلى جانب أقـــل من لتر واحد من الماء لكل شخص، كانت كل ما اســـتطعنا توفيره للبقاء على قيد الحياة.. كاد الموت أن يفتك بنا".

وأفاد : "بقينا في الصحراء لخمسة أيام، واستغرق الوصول إلى مدينة طبرق الليبيـــة يومين، وتعدينا معها الحـــدود المصرية الليبيـــة، لنواصل المشي في المناطق الصحراوية، حتى وصلنا إلى منطقة أجدابيا ، وهناك كانت محطة أخرى من محطات الموت".

ويتحدث الحسن عن أجدابيا، وهي ثاني محطات رحلة التهريب قائـــلا : "أثناء وصولنا إلى أجدابيا تم وضعنا في مكان أشبه بالمعتقل، فقد كان عبارة عن غرف ضيقة بداخل أحد الأحواش التابعة للمهربين، كانت غرفا صغيرة تكدس فيها العشرات من البشر، لم تكن هناك أي مراوح هـــواء أو حتى نوافذ كبيرة تسمح بدخوله، أما دورات المياه فلم يكن هناك سوى حمام واحد فقط للجميع".

ويستذكر : "لم أرَ قذارة في حياتي كتلك الموجودة في ذلك الحمام ! ".

ويشـــير إلى أن المهربين قاموا بتفتيشهم وسرقة هواتفهم، عدا هاتف تمكنـــوا من إخفائه، لافتا إلى أن المهربين ركزوا خلال تفتيشـــهم للمحتجزين على اليمنيين بالذات، حيث كانت هناك عائلة يمنية أيضا ضمن فوج المحتجزين، ولم تسلم هي الأخرى.

ويتابع : "حتى مياه الشرب هي الأخرى لم نجدها عند الوصول إلى أجدابيا، فقد استغرقنا خمسة أيام في المشي بالصحراء، وكنا عطشى وبحاجة ماســـة للمياه، وفوجئنا بالمهربين يقولون لنا بأن المياه أيضا بمقابل".

ويضيف : "لم نكن حينها نملـــك أي دولار واحد، لا أنا ولا حتى صديقي عبدالله، واكتفينا بكميات بســـيطة من المياه كانت توزع علينا بالتساوي إلى جانب وجبة واحدة مكونـــة من قطعة خبز صغيرة عليها القليل من الجبن".

ويبين أن المهربين قاموا بحجزهم، واشترطوا دفع أربعة آلاف دينار ليبي مـــن كل واحد (الدينار الليبي يســـاوي 1.36 للدولار الواحد) وذلك كشرط للإفراج وإكمال الرحلة.

ويمـــضي في حديثه، والعَبرة تـــكاد تقتله، وهو يستذكر تلك المواقف التي وصفها بالصعبة : "اتصلنا بالمهرب الســـوداني في مصر والذي أعطيناه 2000 دولار، لكنه كان قد أغلق هاتفـــه، وفهمنا بأنه قام بالنصب علينا وسرق أموالنـــا، حينها أنهرت عصبياً وبدأت بالبكاء، وسط تهديدات المهربين الذين قالوا وبالحرف الواحد: لن نفكّكم حتى تدفعوا".

ويوضح : "21 يوماً هي مـــدة بقائنا محتجزين لدى السجن التابع للمهربين في أجدابيا، ذقنا خلالها شـــتى أنواع المعاناة والعذاب، فلا ماء كافٍ أو حتى غذاء، فقط وجبة واحدة خفيفـــة والقليلً من الماء، وذلك لإبقائنا على قيد الحياة".

ويفيد : "أنهك جســـدي وتعبت إلى جانب التعب النفسي الذي مررت به، فقد أصبت بإســـهال مائي حاد وتطور إلى ســـوء تغذية، خسرت معها الكثير مـــن الوزن، وأيقنتٍ حينها أننـــي ميتٌ لا محالة وأن الموت بات أقرب إليّ مـــن أي وقت مضى، ناهيك عن الإهانة والضرب الذي كنا نتعرض له، دون أن نعرف الأســـباب، فكلما كان مزاجهم سيئاً أفرغوا شحنات غضبهم علينا".

محطة مشابهة

وأشار إلى أنه وبعد دفعهم النقود للمهربين، قاموا بسؤالهم: " إلى أين تريدون الوصول؟ "، ليرد عليهم الحســـن وصديقه عبدالله: إلى طرابلس. ليتم بعدها نقلهم لمنطقة أخرى، وهي منطقة بني وليد، وكانت محطة أخرى تشبه محطة أجدابيا التي سبقتها.

وقال الحســـن : "فهمنا بعد وصولنا إلى بني وليد بأنه تم بيعنا من قبل المهربين في أجدابيا، حيث كانت المعاملة مشابهة، فلا غذاء ولا ماء كاف، وطلبوا منا 10 آلاف دينار ليبي، وهي تساوي 7303 دولار، وذلك كشرط للإفراج وإكمال الرحلة".

ويتابع : "500 دولار تمكنت والدتي من توفيرها وإرسالها، بعد أن باعت مجوهراتها الذهبية، وباقي المبلغ استطعت توفيره من خلال أصدقائنا وجيراننا في عدن".

ويذكر : "لم يسبق لي بأن عشت مثل هذه المهانة، كنت أتمنى الموت والخلاص من هذا العذاب الذي حل بي، فقد تم إذلالنا وإهانة كرامتنا، فليس من السهل أن تصل لمرحلة طلب مبالغ كبيرة من أصدقائك، دون أن تستطيع ردها لاحقاً".

ويفيد "مكثنـــا في بني وليد وهي مدينة تقع في الشمال الغربي من ليبيا، وتبعد عن طرابلس حوالي 180 كلم 20 يوماً تقريبـــا، في أجواء مليئة بالجوع والعذاب والمعاناة، والحجـــز في مكان لا يصلح لأن يسكنه البشر".

ويواصل الحســـن حديثه بالقـــول : "بعد الإفراج عنا تحركنـــا إلى مدينة صبراتة، والتي تعرف بمخزن البحر، حيـــث كان من المقرر أن نتحرك من البحر بعد ثلاثة أيام من وصولنا، لكن التهريب عبر البحر توقف حينها لأســـباب أمنية فرضتها قوات خفر السواحل، وبقينا هناك لقرابة الشهر والنصف، عند مهرب ليبي يعرف بأبي عبدالله، والـــذي هو الآخر لم يختلف عن سابقيه، إلا أنه كان أفضل نسبياً من ناحية التعامل والمعيشة"، مســـتذكراً أحد المواقف التي جرت له مع المهرب أبو عبدالله، والذي قـــام بلطمه على وجهه، لمجرد خلاف بسيط.

ويتابع : "كنت في تلك الأيام أفتح جوالي وأتابع الرســـائل التي تصلني، ومن بين تلك الرسائل، كانت رســـائل (ن.أ.ف) وهو أحد أصدقـــائي على موقع فيسبوك، ســـألني عن موقعي، وأخبرني بأنه يسكن في طرابلس، ودعاني أنـــا وصديقي عبدالله للنزول عنده في منزله، وهذا ما حدث، فقد أخبرنا المهرب أبو عبدالله بأننا لم نعـــد نريد الهجرة إلى أوروبا، والذي ساعدنا على الوصول إلى هناك".

ويلفت إلى أنه ومنذ أكثر من شهرين، وهو عالق في طرابلس، ويريـــد العودة إلى اليمن مع اثنين من رفاقه.

مصير مجهول

محمـــد عبدالرحمن (26 عامـــا) خريج جامعي ويعمل ســـائقا لباص أجرة يمتلكه، أيضا هو الآخر قرر خوض غمار الهجرة غـــير الشرعية إلى أوروبا عبر دولة مصر.

وبحســـب أسرته التي تحدثت لـ"الموقع بوست"، فقد غادر محمد عدن إلى القاهرة في 24 من فبراير/ شباط من العام الجاري، ليبقى في مصر لشهر، قبل أن تتحرك رحلته البحرية من مدينة مطروح المصرية، قاصدا سواحل إيطاليا.

وتضيف أسرته بأن قوات من خفر السواحل كانت قد انتشرت في البحر، ليقوم المهربون بحرف مسار الزورق والاتجاه نحو السواحل الليبية.

وتذكر بأنه حُجز عدة مرات لدى مهربين في ليبيا، ولم يفرجوا عنه إلا بعد دفع مبالغ مالية، مشيرةً إلى أنه قرر العودة إلى اليمن، وقام بالتنسيق مع الجهات الحكومية، لكن تم اعتقاله مجددا في مدينة بنغازي، ليقضي فيها شهرا ونصف من الاحتجاز.

وتلفت إلى أن كل تلك التفاصيل المذكورة ســـابقا لم يتحـــدث بها محمد مع أسرتـــه، فقدٍ أوصلها أحد أصدقائه الذين يتواصل معهم، موضحةً بأن طريقة سفره هي الأخرى لم تتم بعلم أسرته، فقد خرج من منزله، وكان أول اتصـــال هاتفي معهم عند وصوله الأراضي المصرية.

إحصائية معدومة

وبحسب أحد الشـــبان القادمين من عدن، والذي تمكن من الوصول إلى ألمانيا عبر طرق التهريب، فإن أسباب توجه الشـــباب نحو طرق التهريب مختلفة فمنها الاقتصادية والاجتماعيـــة أو تلك التي تحمل البعد النفسي.

ويضيف الشاب، الذي رفض الكشف عن هويته، أنه مرَّ بظروف نفســـية متدهـــورة، جعلته يقتنع بضرورة التحرك في مســـلك التهريب، فقد تم اغتيال والده والذي يعمل في السلك الأمني في العام 2016.